ملخص كتاب جلاء الحداثة

إعداد: عبد الصمد الودغيري الادريسي

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والصلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه.

وبعد،

تعتبر حاجة البشر للرسالة أشد من حاجتهم للطعام والماء والهواء، فالوحي الإلهي ضرورة إنسانية وحقيقة برهانية متعالية على البشر، ومصدر معرفي يقيني لا يقبل التعامل مع تعاليمه بمنطق الاعتراض. ولا يمكن لأي مسلم أن يتجاوزه أو يلغيه أو ينقص من قدره أثناء البحث في القضايا الدينية.

ولقد شكَّل الوحي العقبة الكبرى أمام كل المشاريع التي تروم هدم الدين، خصوصا منها المتسترة بالانتساب له أو التي تُداهن في موقفها من الوحي لئلا تفقد المصداقية. والمشروع الحداثي من أكبر المشاريع التي تسعى لتدنيس قداسة الوحي وزعزعة مكانته، وتحييده من الهيمنة على المشهد الفكري، وإلى إحداث القطيعة مع التراث بدعوى تاريخيته ونسبية حقائقه، وأن الوحي غيبي أسطوري يناقض العلوم العقلية اليقينية. وقد بذل الحداثيون محاولات لأنسنة الدين بتسليط الآليات والمفاهيم الغربية الإنسانية على الوحي الإلهي.

والمقصود **بالحداثيين**:"مجموعة الكتاب المعاصرين الذين يشتركون في تبني عدة أفكار مثل: العقلانية والعلمانية ونسبية الحقيقة ونزع القداسة، والتاريخية والدعوة للقطيعة مع الماضي، وتجاوز ما قرره السابقون، وفتح باب التأويل، وإعادة فهم النصوص فهما جديدا، واستحداث مناهج جديدة للتعامل مع التراث ونصوص القرآن والسنة، مأخوذة في الغالب من تراث الغرب النقدي"[1].

ولقد ظهرت بالمقابل دراسات تُجلي الفكر الحداثي وتكشف عواره؛ ومنها مقالات نافعة من إعداد: ـ الحضرمي أحمد الطلبة ـ عمار بن محمد الأركاني ـ محمد حشمت إبراهيم سعدة. وقد أشرف مركز سلف للبحوث والدراسات على إخراجها في كتاب: **"جلاء الحداثة: إيضاحات لبعض الأصول في الفكر الحداثي وبيان تهافتها"** بإشراف د. محمد بن إبراهيم السعيدي و د. علي بن محمد العمران.

وقد عملتُ في هذا التلخيص على ضم الموضوعات المتقاربة، فخرج التلخيص في هذه الحلة مراعيا الخطة التالية:

ـ **الورقة الأولى**: تحرير ومناقشة موقف الحداثيين من الوحي والنبوة.

ـ **الورقة الثانية**: منهج الحداثيين في قراءة الوحي:

1ـ القراءة الحديثة للتراث

2ـ تاريخية النص القرآني

3ـ التأويل وجدلية الدلالة عند الحداثيين

4ـ المحكمات الشرعية وأزمة الحداثيين

ـ **الورقة الثالثة**: بعض تقنيات الحداثيين في التلبيس والخداع

1ـ الغموض

2ـ الثوب الرقيق

ـ **الورقة الرابعة**: مقاصد الشريعة: ورقة نقدية للأغلاط المعرفية عند التيار الحداثي.

---

[1] ـ موقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي "عرض ونقد" ـ أحمد قوشتي ـ ص 7

. الورقة الأولى: تحرير ومناقشة موقف الحداثيين من الوحي والنبوة.

يعيش الفكر الإسلامي اليوم صراعا كبيرا مع الفكر الغربي المادي، وتولى كِبرَ هذا الصراع بعض من في الداخل الإسلامي؛ ومنهم الحداثيون الذين لم يصمدوا أمام سلطة الفكر الغربي، ولم يشرفوا بأن يكونوا خلفا للسلف من علماء الأمة الربانيين الذين يذبون في كل زمان عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فراحوا يُطوعون نصوص الوحي والمفاهيم الإسلامية للمفاهيم الغربية. ومن المفاهيم التي تعرضت للتشويه من طرف أبرز منظريهم "**مسألة الوحي**".

ومن المناسب قبل الحديث عن موقف الحداثيين من حجية الوحي، بيان مفهوم الوحي عند السلف ومكانة الوحي في الفكر الإسلامي، ثم نعرّج على كشف موقف الحداثيين من الوحي نفسه والذي نتج عنه موقفهم من حجية الوحي.

مكانة الوحي في الفكر الإسلامي:

يفرق مؤرخو الأديان بين الأديان السماوية والأديان الوضعية، وبين ما نزل من عند الله وما يصدر من المخلوق. فالوحي الإلهي مباين للمنتجات البشرية وهو المحور الأساسي الذي يقوم عليه الدين؛ بحيث إذا حُرِّف مفهومه أو أُلغيت عصمة القرآن الكريم لَعسُر طريق الحق ولم يهتد البشر إلى خالقهم، ولآل بهم الأمر إلى الكفر بربهم وإنكاره كما قال سبحانه {أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون}[2].

ولذلك أولى القرآن "مسألة الوحي" عناية كبيرة، كما عنيت السنة النبوية وآثار السلف بإبراز حقيقة الوحي ومحاجّة من طعن فيه أو سعى لإبطال حجيته.

مفهوم الوحي عند السلف:

وصف الله تعالى وحيه بقوله ﴿ والنَّجمِ إذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[3] وقوله تعالى {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[4].

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ما كان للنبي أن ينتجه من عنده أو يبدله من تلقاء نفسه، أو يعدل فيه شيئا تأثرا ببشريته وأحواله النفسية والاجتماعية وظروف الزمانية والمكانية.

فالوحي كلام الله تعالى وهو متعال على كل معارف البشر، وليس أمرا كسبيا بل هو اصطفاء من الله لمن شاء من عباده، يبلغه الرسول كما أمره ربه، دون أن يزيد فيه أو ينقص. والوحي هو أن يصطفي الله تعالى أحدا من عباده ويعلمه بالنبوة، ويخبره بما أراد من الهدايات وأمور الدين والدنيا بطريقة سريعة وخفية[5]. ومهمة تحمُّل الوحي وتبليغه مهمة صعبة؛ فإن الله إذا تكلم بالوحي أخذ السماوات منه رجفة شديدة خوفا من الله تعالى، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدا. فإذا كان هذا حال الملائكة والمخلوقات العظام، فكيف سيكون حال نبي من البشر مع الوحي؟

---

[2] - سورة الطور 33
[3] - سورة النجم (1~11)
[4] - الشعراء 192 - 195
[5] - مناهل العرفان 63/1

ولقد تعدد طرق الوحي وكان أول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم الرؤى الصادقة، وهذا" أخف وطأ وفيه ترفق وتدرج بالنبي، حتى يتهيأ لتحمل الوحي المشاهد يقظة"[6]. وفي هذه المرحلة التمهيدية لم ينزل شيء من القرآن مناما، إذ القرآن كله وحي مسموع من جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم[7].

ومن الوحي ما يكون إلهاما أو مناما صادقا، وهذان الصنفان غير مسموعين. أما الوحي المسموع: فمنه ما يكون كلاما مباشرا بين العبد وربه، كما كلم الله موسى عليه السلام، ومنه ما يكون بواسطة جبريل أمين الوحي، وهو من أشهر أنواع الوحي وأكثرها، وهو الذي نزل به القرآن كله[8]. قال الله تعالى {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}[9].

ومجيء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم بالوحي كان على صور منها: أن يظهر له على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وأحيانا يأتيه في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه، وكان يعاني منه شدة؛ فيحمرُّ وجهه فجأة ويتفصَّد جبينه عرقا، ويثقل جسمه يكاد يرضُّ فخده فخد الجالس إلى جانبه، وحتى لو كان راكبا لبركت به راحلته[10].

لكن أين يختلف الحداثيون عن السلف في مفهوم الوحي، وهم يؤمنون به؟

. مفهوم الوحي عند الحداثيين وموقفهم من إمكانية الوحي والنبوة:

يصرح الحداثيون بالإيمان بالنبوة والوحي، لكن من منظور ملفق بأفكار الحداثة الغربية ومُختلِف عما فهمه سلف الأمة. فبعضهم يعتبر النبوة **قوة تخييل** عند بعض الأشخاص، والناس أنبياء يوحى إليهم وصوت الطبيعة هو صوت الله؛ فلا خصوصية لبشر يدعي أنه نبي يوحى إليه، ووحي الطبيعة للإنسان وحي بلا معجزات ولا ملائكة.

وينبي على هذه النظرية أن **النبوة مستمرة عبر النزوع إلى الطبيعة**، وليس من الضروري اللجوء إلى ما هو خارج الطبيعة لتأسيس الناس على أساس الإلهيات. فما الوحي إلا مرحلة من مراحل وعي المجتمع البشري تمكَّن من تجاوزها بعد نضجه العقلي؛ **وفكرة ختم النبوة** تعني نهاية مرحلة توجيه الإنسان وتمكنه من القيام بنفسه دون الحاجة للوحي والنبوة. يقول محمد خلف: "إن البشرية لم تعد بحاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء فقد بلغت سن الرشد، وآن لها أن تباشر شؤونها بنفسها"[11].

وهكذا يمارس الحداثيون **أسلوبا خداعيا** بإظهار الإيمان بالوحي مع عدم التسليم به في الحقيقة؛ إذ يعتبرون المرحلة الحالية غير مناسبة للتصريح بمناقضة الدين وأصوله، وأنه ليس من الحكمة التصادم مع المسلمات المغروسة في العقل الإسلامي والمسلّم بها من منظور دوغمائي، وإنما ينبغي ترويضها وتطويعها إلى أن تتم السيطرة عليها.

---

[6] ـ فتح الباري (9/1)

[7] ـ مجموع الفتاوى (398/12)

[8] ـ الفصل في الملل والنحل ـ ابن حزم (17/5)

[9] ـ سورة الشورى 51

[10] ـ وردت بذلك أحاديث ثابتة صحيحة، منها ما روته عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: " وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا. رواه البخاري (2) ومسلم (2333).

[11] ـ العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق من الداخل؟ ص 51

ويشنع الحداثيون وينتقدون **اتجاهين اثنين في قضية الوحي**، وهما:

1ـ الموقف الأصولي التقليدي السطحي ـ على حد تعبيرهم ـ ويقصدون به المفهوم السلفي.

2ـ الموقف الفلسفي لبعض الفلاسفة الإسلاميين: الذي يدعي أن الوحي نابع من الإنسان وقواه المكتسبة بالرياضات، وأنه لا فرق بين الفيلسوف والنبي. مع أن مآل هذا القول إنكار النبوة ظاهرا وباطنا.

وبناء على ذلك يرى الحداثيون أن معالجة قضية الوحي لا تتم بواحد من هذين الاتجاهين، وإنما باستخدام مناهج بحثية حديثة يعدونها أقوم الطرق، ومنها: منهج التاريخية[12] والأنثربولوجية[13]، والألسنية[14]، والسميائية الدلالية[15] والتفكيكية[16].

وبهذا يصبح الوحي **مجرد ظاهرة** مرتبطة بتاريخ مجتمعها وجغرافيته، ومجرد **انفعالات وعواطف وأفكار غير واعية ولا عقلانية**[17] ناشئة عن "**الخيال**"، وناتجة عن تأملات وصلت بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى اليقين بأن الله اصطفاه لتبليغ رسالته.

ويعتبر محمد أركون القرآن **أسطورة تشكل** عاملا ضروريا لصنع التاريخ والتأثير على الجماهير. ولتسويق هذه العبارة يلطفها ببعض الطلاءات مدعيا أنه لا يقصد بالأسطورة" **الخرافة**"، وإنما هي إحدى مفاهيم الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. وأن أسطورة القرآن تختلف عن غيرها من الأساطير؛ إنه مِخيال شعبي ليس خيالا صرفا كله، وإنما يستند على أساس من الواقع، ثم تضخيم ذلك الخيال على أنه مرجع فوق بشري، فاكتسب القرآن بذلك صفة التعالي والسيادة بدعوى أنه كلام الله، وأضفى الهيبة والاحترام على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك مهم لشحن عزائم الجماهير وصنع التاريخ الذي لا تحركه فقط الأحداث والمادية الواقعية.

ونتيجة لما سبق فلا فرق عنده بين الأديان السماوية والوضعية، لأن الوحي ـ حسب زعمه ـ يتميز بخصيصة؛ وهي أنه **يستوعب بوذا وكونفوشيوس والحكماء الأفارقة**، وكل الأصوات الكبرى التي جسدت التجربة الجماعية لفئة بشرية ما.

ـ موقف الحداثيين من حجية الوحي:

تنطلق جل خطابات الحداثيين من قاعدة مشتركة؛ وهي التركيز على محورية الإنسان على حساب الوحي، وتغليب فهم القارئ الذي له الحق في أن يفهم القرآن انطلاقا من ثقافاته وميوله وهواه، تأثرا منهم بالمناهج الغربية في تغليب الجانب الحسي على الجانب الغبي. ويكفي لمعرفة موقفهم من **حجية الوحي** أن نقف على نوع العبارات التي يستعملونها في توصيفه، ومن ذلك:

1ـ تنقص القرآن الكريم ووصف ألفاظه بالعجز التعبيري عن المضامين الحقيقية: فالقرآن "**مدونة نصية**" كما يقول محمد أركون، وأسطورة لا تستحق التقديس ولا يجب الرضى بأحكامها، بل يجب التخلص من كثير من ألفاظ القرآن مثل: (الله، الرسول، الدين، الجنة والنار، الحور العين...) باعتبارها مصطلحات عاجزة عن أداء مهمتها في التعبير عن المضامين المتجددة، كما قول حسن حنفي.

---

[12] ـ سيأتي تعريفها في الصفحة 9.

[13] ـ علم يبحث في مراحل تطور الإنسان وأصله الخلقي، كما يبحث في تطوره الاجتماعي والثقافي.

[14] ـ علم تطور اللغات البشرية وعمليات الاتصال، على خلاف ما كان معهودا في السابق.

[15] ـ علم حديث يبحث في الدلالات اللغوية يدرس المعاني اللغوية على صعيد المفردات والتراكيب، وما يتبعه من تطور للمفردات بعيدا عن الاشتقاقات التاريخية لها.

[16] ـ منهج فلسفي يرى أنه لا يوجد تفسير واحد للمعنى في النص، بل تفسيرات غير محدودة، وبذلك أصبحت النصوص عرضة لنوع جديد من التحليل والتفسير.

[17]ـ اعتبر عبد المجيد الشرفي الوحي مصدر علم النبي صلى الله عليه وسلم حالة استثنائية يغيب فيها الوعي وتتعطل الملكات المكتسبة، ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي صلى الله عليه وسلم على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته. ـ الإسلام بين الرسالة والتاريخ (ص 32 وما بعدها). وما أشبه هذا بأقوال الفارابي وابن سينا في مفهوم الوحي.

2ـ **التشكيك في نزول القرآن من السماء، واعتباره نصا كُتب في ظروف تاريخية**: يدعي أركون أن معارضة المشركين للقرآن لم تكن ناتجة عن جهل، مما يدل عنده على أن القرآن كتاب معزول عن أي بُعد غيبي، وأنه **تم تأليفه** ليرفع إلى مستوى كلمة الله الموحى بها.
3ـ **وصف القرآن بالتاريخية أو التراث ونزع القداسة عنه**: فالقرآن عند الحداثيين **نص لغوي** قابل للنقد والتمحيص والأخذ والرد، لا قداسة له ولا بد من تأويله لأنه خطاب تاريخي بما هو تاريخي[18].

ـ مناقشة وإبطال التفسير الحداثي للوحي:

إن مجرد تصور الحداثيين لوحي الله تعالى إلى أنبيائه كفيل بمعرفة بطلانه، خاصة إذا عرفنا أن منطلق الفكر الحداثي هو الخنوع لمنطق الحداثة الغربية، وتطويع مفهوم الوحي إلى ما يتوافق مع ذلك المنطلق. وإذا كان الفلاسفة المنتسبون للإسلام قد أخضعوا مفهوم الوحي للنظريات الفلسفة اليونانية كالفيض والصدور والمخيلة، فقد أخضع خلفُهم الحداثيون مفهوم الوحي لنظريات الفلسفة المعاصرة، كالتحليل التاريخي والأنثربولوجي ومقارنة الأديان وغير ذلك؛ تشابهت قلوبهم واتحدت مقاصدهم وهي إنكار الوحي والنبوة. وقد قيض الله تعالى من علماء السلف والخلف من يبطل كيد هؤلاء وأولئك، ويفند شبهاتهم كما فند القرآن تشكيكات المكذبين في عصر النبوة.

وهذه بعض الأدلة العقلية النقلية التي تبطل التفسير الحداثي للوحي وتنفي كون القرآن من افتراء النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يملك تبديلا له فضلا عن اختراعه. قال الله تعالى { قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} [19]، وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [20].كما أن نصوص القرآن صريحة في أن ألفاظه ومعانيه من عند الله تعالى، لا صنعة فيها للنبي صلى الله عليه وسلم و لا لأحد من الخلق. قال الله تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}[21].

وبالنظر إلى طرف من سيرة من جاء بالقرآن، وبالبحث في الظروف الواقعية لحياته صلى الله عليه وسلم وتاريخه وأوضاعه النفسية والاجتماعية، نجد أنه رجل أُميّ عاش في جزيرة العرب بين أُميّين معزولين عن العلم، وكان مشغولا برزقه. ثم يزعم أحد أن هذا الرجل يصدر عن "خياله" فجأة أخبارُ الأولين والآخرين بكلام في منتهى الدقة والفصاحة!!

إنه بشر عاش ظروف الحياة بمعضلاتها ومشاكلها؛ ومع ذلك لا تجد تأثرا في القرآن بظروفه وأحواله النفسية. ولو كان القرآن من خياله، ألم يكن من المنطقي أن يحسم كثيرا من الأحداث والمسائل ؟! في قصة الإفك تُرمى زوجه عائشة رضي الله عنها بتهمة الزنى، فيعاني خوض الخائضين في عرضه، ومع ذلك يَفترُ الوحي مدة. ولو كان القرآن صادرا من نفسه لتسارعت الآيات فحسمت الأمر ببراءة أحب الخلق إليه.

وهكذا تجده أحيانا يتوقف منتظرا أوامر القرآن وبيانه، ثم تراه يغير مسار الجيش كما في صلح الحديبية لآيات قرآنية تنزل عليه صلى الله عليه وسلم ويقول: {إني رسول الله وليت أعصيه، وهو ناصري}.

---

[18] ـ ينظر على سبيل المثال: "التراث والتجديد" ـ حسن حنفي ـ ص 110، و"القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني "ـ محمد أركون ـ ص 119، "النص ـ السلطة ـ الحقيقة" نصر أبو زيد ص 33.
[19] ـ يونس 15-17
[20] ـ الفرقان 4-9
[21] ـ التكوير 19-23

وتأمل منهجه صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقي القرآن أول عهده به وخوفه من نسيانه فكان يحرك به لسانه، حتى وعده ربه بحفظه وعدم نسيانه ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ} [22].

وتجده صلى الله عليه وسلم يخبر بأمور دقيقة وأخبار غيبية يصعب الوصول إليها بذكاء العقل وصدق الفراسة وقوة مدركات الحس، ولا يمكن أن يكون مصدرها إلا وحيا من رب عليم خبير. فهل الخيالات والانفعالات النفسية تهدي صاحبها للإخبار بمدة مكث أصحاب الكهف، وانتصار الروم على الفرس، وأطوار الجنين في الرحم؟!

أضف إلى ذلك أن هذا الرجل الأمي يأتي بنظام ديني محكم فكريا وسلوكيا، فهل يعقل أن يكون هذا النظام الذي ارتقى بالبشرية نابعا من خيال رجل عاش في عصر جاهلي لا يعرف إلا الظلم والانحطاط الأخلاقي والتفكك الاجتماعي؟!

ثم هو مع ذلك النظام المحكم يرفقه بالوعود والبشارات بحفظه من التحريف، ويتحدى به الجن والإنس ويجزم بعجزهم عن الإتيان بصنوه فضلا عن مناوئ! فهل يمكن أن يصدر كل ذلك من خيال أُمي يتيم مشغول بقوت يومه؟!

ولعل قائلا يقول: إنها أساطيرا اكتتبها واستوحاها من معلميه من أهل الكتاب، فمن أولئك الذين يجدهم وسط أمية مكة ليكتتب عنه الأساطير؟ وما هي تلك الأساطير التي يمكن أن تأتي بمثل هذا القرآن وما فيه وقد عجز البشر عن مثله؟ ومن أولئك الذين كانوا معلميه؟ ولِم لَم يبرز واحد منهم ليثبت أن محمد أحد تلاميذ القساوسة والأحبار، وأنه قام بسرقة علمية لمؤلفاته وبحوثه؟[23] ما أبلغ رد القرآن على قولهم {إنما يعلمه بشر}، إذ قال سبحانه {لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين}[24]

إن قول الحداثيين ومن قبلهم كفار قريش بأن الوحي أسطورة من فيض خيال النبي، لا تجدر أن تكون شبهات تصادم الأدلة العقلية النقلية التي تجعل كل صادق في البحث عن الحق يؤمن بأن الوحي حق وليس ظاهرة عارية عن الدلائل والبراهين القطعية. {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا} الإسراء 81.82

---

[22] - القيامة 16-19

[23] - مستفاد من كتاب "النبأ العظيم" لمحمد دراز.

[24] - النحل103

ـ الورقة الثانية: منهج الحداثيين في قراءة الوحي:

1. القراءة الحديثة للتراث.. الخلفيات والمنزلقات

يقصد بالقراءة الحداثية للتراث: الأنماط الفكرية التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي محاولة خَلقَ وئام بين الثقافة الدينية الإسلامية وبين الطرح الغربي الحديث، لتنتج خطابا دينيا متماهيا مع نظرة الثقافة الغربية للكون والحياة.

ـ الخلفيات المشَكِّلة لفكرة القراءة الحديثة:

المتتبع للمنتج الثقافي الحداثي يرى أثر الخلفية العلمانية على الطرح الحداثي من خلال عدة تشكلات، أهمها:

أ ـ الموقف من الدين والأخلاق: تَرى العلمانية أن الخطابَ الديني والأخلاقي مجرد غطاء يُخفي الدوافع الحقيقة للأحداث، وأن التاريخَ والمعرفةَ التراثية ذات **صبغة نفعية**، ومحكومة بدوافعَ غريزية محضة ذات بعد سياسي مادي رافق الصراع على السلطة والنفوذ. ولذلك فإن العلمانية تُشكِّك في الكتب المقدسة وفي كل ما هو ديني. وهكذا تحاول القراءة الحداثية قطع الصلة بالتراث ونزع قداسة النص والتخلص من تفسيرات السلف، وممارسة العقلانية النقدية على التراث للتمكن من تغيير بنية العقل العربي كما يقول الجابري[25].

وإذا كانت العلمانية تسعى لهدم النصوص والدين من الخارج، فإن الحداثة تحاول هدمه من الداخل بالقضاء على الجهاز الدلالي وبالقراءة المتحللة للنصوص وأنسنة التراث، وبالدعوة إلى تخليص الفكر العربي من التقيد بالنص والإجماع والقياس، وإلا فهو فكر معيب يشكل أكبر عائق نحو النهضة.

ب ـ تطبيق التقنيات المعاصرة على النصوص: كالمنهج التفكيكي الذي جعل النصوص عُرضة لنوع جديد من التحليل والتفسير؛ إذ لا يوجد تفسير واحد للمعنى في النص. وكالبنيوية التي تجعل الأولوية للنسق وللمعطيات أكثر من المعنى.

ولا شك أن اعتماد هذه النظريات والتقنيات المعاصرة في قراءة النصوص يفضي إلى تجاوز الأدوات العلمية التفسيرية ونزع القداسة عن جميع النصوص سواء دينية كانت أو غير دينية، بإخضاعها لعمليات لغوية شكلية تلغي المعنى العلماني ذاته، وتفسر النص بالشيء ونقيضه دون أن يكون أي تفسير ملزما، باعتبار أن عملية تأويل النص عملية بشرية يقوم بها القارئ وفق آلياته ومعتقداته؛ فالنص عند السلفي إطار ومرجع، وعند العلماني غطاء وسند.

ـ وللتقنيات الحديثة عند الحداثيين سمات تظهر في النقاط التالية:

ـ العلمية: ويقصدون بها أن يكون **الواقع** موضوعا للعلم، و**العقل** مقياسا للحقيقة.

ـ قانون العلية: ويعني أن أي عملية معرفية لا تخضع للمنهج التجريبي فهي خرافة أو أسطورة.

ـ تأسيس المعرفة العقلية على النقد: واعتبار الموقف النقدي جوهر العقلانية الحديثة؛ يستبعد كل ما هو أسطوري ديني لا يستمد صدقه من الواقع[26].

ولذلك تجدهم يؤكدون على بشرية النصوص وأن القول بإلهيتها يستلزم عجز البشر بمناهجهم عن فهمها، كما أنهم يعتبرون القول بالنبوة تجهيلا لإنسان عصور التقدم والذي لم يعد في حاجة إلى النبوة ولا إلى ما هو خارج الطبيعة.

---

[25] ـ بنية العقل العربي ـ محمد عابد الجابري ـ ص 568

[26] ـ موقف الليبرالية العربية الحديثة من محكمات الدين ـ ص 233

ج ـ الخلفية الاستشراقية: وقد ظهر تأثر أصحاب مشروعات إعادة قراءة التراث بالقراءة الاستشراقية في جميع تشكلاتهم الفكرية، حتى وصل بهم الأمر إلى اعتبار الدين الإسلامي مستمدا من الثقافات المجاورة له، ولا يعدو كونه قراءة تفسيرية للديانات السابقة كم يقرر المستشرق "ثيودور نولدكه".

وقد صرح الجابري بأن الثقافة العربية الإسلامية ورثت كل علوم المعقول واللامعقول في الثقافات الأخرى، وأن التأليف في الأخلاق قد تأثر بالفكر اليوناني والفارسي، وأن الكتاب والسنة قد تأثرا بالموروث الجاهلي[27].

ولا يقتصر ادعاؤهم توفيد العلوم الإسلامية على الفكر الديني والعقل الأخلاقي، بل يشمل اللغة أيضا والقواعد النحوية، فقد زعم أحمد أمين أنها كانت على غرار ما وجد في الآداب السريانية في العراق وأنها مستمدة منها[28].

لكن ماذا نتج عن القراءة الحديثة للنصوص؟

بالتأمل في نتائج القراءة الحديثة ندرك حجم الفوضى والتضارب المنهجي الذي أنتجته مناهج التحليل المختلفة والمتناقضة التي تبناها الحداثيون، وعجزهم عن إنتاج رؤية منهجية واضحة لفهم النصوص. فَهُم في أنسنتهم للتراث الديني والنزول به عن البعد الرباني، جعلوا من آلياتهم البديلة عن معايير التأويل عند الأقدمين **آليات عبثية لا تفرض معنى محددا للنص**، فاستحال القرآن الكريم إلى مدونة تمارِس عليها النظرة الحداثية مختلف أشكال الاستنطاق، مسترشدة بفلسفة النسبية وانعدام المعرفة اليقينية، ليتم تجريد النص من أي معيار في التفسير وليتم العبث به دلاليا؛ فالنص الذي يحتمل معان لا متناهية لا يمكن أن يكون مقدسا، وأَنَّى له التقديس وهو يدل على الشيء ونقيضه في آن واحد؟

2ـ تاريخية النص القرآني:

تعرض القرآن الكريم على مر العصور لمحاولات عديدة من أعداء الإسلام لتعطيل أحكامه أو تحريف نصه أو معانيه، لكن البلية العظمى أن تصدر مثل تلك المحاولات من أُناس ينتسبون للإسلام، لكنهم لا يألون جهدا في إسقاط مفاهيم الفكر الغربي الفلسفية على النص القرآني، حتى خرجوا لنا بمفهوم "تاريخية النص القرآني".

ـ مفهوم التاريخية ونشأته:

1ـ مفهوم التاريخية: عرف الدكتور طارق حمودي في مقال" **تاريخية النص (التاريخ والمفهوم)**": بأنها كلمة من وضع الحداثيين العرب في مقابل مصطلح (Historicisme) الإنجليزي، وهو مذهب وجودي هدمي، يؤمن بنسبية المعارف والقوانين والقيم بكونها نتاجا خاصا لسياق وضعي تاريخي معين. فجوهر مفهوم التاريخية هو: **الانطلاق من تاريخ الإنسان الأرضي لبناء منظومة حياته**.

2ـ نشأتها: لجأ الفكر الغربي الحديث إلى القول بالتاريخية كردة فعل على إفراط النظام الكنسي النصراني في الخيالات والأساطير، ونتيجة لذلك تم الانتقال إلى طور الفلسفة الحديثة بمنهج معرفي جديد قائم على تاريخية النصوص، وعلى أساس ضرورة الوعي بواقع الناس وحاجاتهم، وكذا بناء المعرفة من داخل الإنسان وواقعه دون أن تُفرض عليه المعرفة من خارجه: (أي من الله والدين).

---

[27] ـ ينظر: تكوين العقل العربي للجابري ـ ص141، والعقل الأخلاقي العربي ص 536

[28] ـ فجر الإسلام ـ محمد أمين ـ ص 173

وقد مر مفهوم التاريخية بأطوار يمكن تلخيصها في مرحلتين:

ـ"**مرحلة ما قبل الحداثة**": كان الفكر الغربي يبحث فيها عن حقيقة مطلقة يبني عليها منظومة حياته، ويشترك النوع الإنساني في اليقين بها.

ـ"**مرحلة الحداثة وما بعد الحداثة**": وخلالها بدأت تتجه جهود الحداثيين إلى إبطال ما كانوا ينادون به، فقالوا باستحالة إدراك الحقائق المطلقة وعدم إمكان تحقيق الموضوعية، وأن التراث متأثر بعصره وتاريخه وبتأويلات أشخاص لا يمكنهم التخلص من تأثير رؤاهم الذاتية وطبيعتهم البشرية المتغيرة.

ومعتنقو التاريخية عندما ادعوا النسبية، حصل لهم تخبط وفوضى فكرية كان لها امتدادات خطيرة آلت إلى العدمية والعبثية؛ إذ من لوازم نفي الحقائق المطلقة أن نشك في كل شيء، وأن نتقبل كل شيء، وألا نؤمن بشيء، إذ كل شيء نسبي.. ومن المفارقات أن يعتبر الحداثيون وظيفتهم الجديدة القائمة على هدم الحقائق: "**سر إبداع الفكر الحداثي**".

إن فكرة عدم ثبات الطبيعة البشرية ليست جديدة، فهي مبنية على الخلط بين الجوهر والمتغير. وقد كان هذا الخلط سببا في اضطراب مقالات اليونانيين من قبل. كما اضطرب فلاسفة النهضة الذين سيطرت عليهم النزعة الإنسانية فادعوا استقلال الإنسان بصنع واقعه، فما لبثوا أن انكشفت لهم حقيقة عجز الإنسان وضعفه وتأثره بظروف تاريخه. وبدل أن يرجع الحداثيون إلى رشدهم ويدركوا افتقار الإنسان لربه في كل شؤونه ـ والتي منها معرفة الحقائق ـ، ويعترفوا بحاجة البشر لوحي الخالق، نُكسوا على رؤوسهم وأنكروا الحقائق المطلقة وزعموا نسبية المعارف كلها، وأسقطوا القول بالنسبية والتاريخية على كلام الله تعالى ووحيه.

ـ دخول مفهوم التاريخية إلى الفكر الإسلامي:

جرى الحداثيون العرب على خطى فلاسفة الغرب، زاعمين أن الخضوع للفكر التاريخي بكل مقوماته وإثبات تاريخية النص القرآني هو جوهر الإصلاح الحداثي[29]، وأن الرؤية الجديدة للدين والعالم لن تنتصر إلا بعد تفكيك العقلية القديمة عن طريق تبيان تاريخيتها ونزع القداسة عنها[30]، فيمكن بعد ذلك للمجتمع المسلم التساؤل عن تاريخية النص القرآني ووضعه تحت مجهر النقد العلمي وتجاوز العقبة الكؤود التي تقف أمام الحداثة.

ولنزع القداسة والتعظيم عن القرآن الكريم واعتباره منتجا ثقافيا مرتبطا بالبيئة القبائلية لجزيرة العرب، فقد وظفوا عدة مزاعم من بينها:

1ـ العلاقة الجدلية بين النص والواقع:

فقد زعموا بأن النص القرآني **مر بطورين في ظل العلاقة الجدلية بين النص والواقع**:

ـ المرحلة الأولى: سموها "مرحلة التكوين"، وخلالها كان النص مُستمِدا من الواقع الثقافي ونتج عنه.

ـ المرحلة الثانية: وهي "مرحلة الاكتمال"، وأنه خلالها صار النص مصدرا للثقافة ومُنتجا لها[31].

---

[29]ـ العرب والفكر التاريخي ـ عبد الله العروي ـ ص 205

[30] ـ مدخل إلى التنوير الأوروبي ـ هاشم صالح ـ ص 10

[31] ـ مفهوم النص ـ نصر حامد أبو زيد ـ ص 24 وما بعدها

2ـ من طبيعة اللغة أن يكتنفها الغموض:

وإذا كان كل منتج ثقافي مرتبطا بلغة عصره وزمنه، فإن النص القرآني مختص كذلك بتاريخه وعصر نزوله، ولغة القرآن اكتنفها الغموض وصار من يقرأ القرآن لا يفهمه مع أنه عربي[32].

3ـ فكر صاحب النص:

يستمر الفكر الحداثي في غيّهِ ليبحث في "فكر صاحب النص"؛ في مجاله التاريخي بكل أبعاده الثقافية والسياسية والاجتماعية، للتوصل إلى فهم جذور النص ومنشئه أو ما يسمونه "جينالوجيا النص القرآني"[33].

وبناء على ما سبق يخلص الفكر الحداثي إلى وجوب القطيعة المعرفية مع الماضي، وامتلاك بداهة جديدة تتجاوز البداهة الجاهزة وتقفز فوق حاجز المعلومات التقليدية المتراكمة، فتلغي مرجعية القرآن في عصرنا لأنه مختص بتاريخه، وتتجاوز النص القرآني مبنى ومعنى، وربما تكتفي باعتباره جزءا من التراث الثقافي للأمة لا يصلح إلا للتلاوة والتبرك.

ـ مناقشة نظرية تاريخية النص القرآني وبيان بطلانها:

إن نزول القرآن الكريم في ظروف وسياقات تاريخية معينة لا يلغي عالميته و تعاليه على التاريخ؛ فقد أنزله الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وليهديهم إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، فيصلح حالهم في الدنيا والآخرة. ونزوله في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لا يعني أنه موجه لقومه خاصة، وإنما الخطاب فيه للعالمين في أي زمان ومكان.

وإبطال القول بتاريخية القرآن الكريم من وجوه:

الوجه الأول: القرآن الكريم يخطاب العالمين، ولا عبرة بتغير الجيل الذي نزل فيه القرآن ولو مرت عليه آلاف السنين:

لأن الله تعالى الذي خلق الإنسان هو الذي خاطبه بهذا القرآن، وهو سبحانه لعلمه بالطبيعة البشرية فإنه يأمر بالاعتبار بحال الأمم القديمة، ويخبرنا عن طبيعة المؤمنين وطبيعة الكافرين ومآلاتهم وسنته في خلقه التي لا تتغير وإن تغيرت الأزمنة والأمكنة. قال الله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} سورة الفرقان (1)، وقال تعالى { قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا} سورة الفرقان (6)، وقال سبحانه { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} سورة يوسف(111).

كما بين سبحانه أن أحوال الكفار مع أنبيائهم لا تتبدل ولا تتغير وإن تعددت تواريخهم، فالتكذيب بالرسل والكفر برب العالمين وطغيان المترفين واستغناؤهم عن ربهم لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة. قال الله تعالى {كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} سورة الذاريات (52-53)، وقال تعالى{كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ* أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ} سورة العلق(6-7).

---

[32] ـ ينظر: مقال "شعار تاريخية النص ليس هو الحل" ـ محمد عابد الجابري.

[33] ـ ينظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية ـ محمد أركون ـ ص 129

الوجه الثاني: بيان أن القول بالتاريخية طعن في الله تعالى وإبطال للمقاصد والمعاني العظيمة التي جاء القرآن لتحقيقها:

إن القول بتاريخية النص القرآني طعن في الله تعالى ونوع إلحاد، وذلك من جهة التشكيك في علمه سبحانه بخلقه وبما يصلحهم، كما أنه طعن فيما وصف الله تعالى به كلامه وما أوضح لعباده من المقاصد العظيمة لتنزيله. فكيف يجتمع القول بتاريخية القرآن مع الإيمان بالله تعالى والإيمان بأن القرآن تنزيل من رب العالمين؟

وإن عجبنا ليزول إذا عرفنا في الأصل تصور الفكر الحداثي عن (الله تعالى)، حيث يعتقد أنها فكرة يصنعها التاريخ وتتشكل من خلال الواقع ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ كما عبّر أركون بقوله:" ويمكن القول بأن التصور الحديث لله يتجلى في "الأمل"، في الانفتاح على أفق الأمل: الأمل بالخلود، الأمل بالحرية، الأمل بالعدالة، الأمل بتصالح الإنسان مع ذاته. هذا هو الله بالنسبة للعالم الحديث والتصور الحديث". ولهذا تجده يبرر مقولة نيتشه التي يزعم فيها موت الإله فيقول:" فالله حي لا يموت، ما يموت ما هو تاريخي حقا، هو تلك التصورات التي يشكلها البشر عبر مراحل تاريخية مختلفة عن الله"[34].

ولذا استنفر أهل الحق طاقاتهم في صد هذا المنهج ومن تأثر به من منكري الصفات التي تنطوي في الحقيقة على إنكار ذات الله تعالى[35].

الوجه الثالث: قيام التحدي والإعجاز إلى قيام الساعة.

لا يزال القرآن الكريم شاهدا على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، مثبتا أنه ليس للإنس والجن قُدرة على أن يأتوا بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهيرا، وهذا التحدي متجاوز لحدود البشر التاريخية ومتعال عليها ولا يزال قائما إلى قيام الساعة. يقول الله تعالى {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} سورة الإسراء (88).

الوجه الرابع: بيان استناد الحداثيين في القول بالتاريخية على فكرة ماركسية بدل التسليم لكلام الله ورسوله، وذلك محض تحكم ومصادرة.

وتدعي تلك الفكرة الماركسية أن الواقع هو من يصنع الفكر، وليس الفكر هو من يصنع الواقع. إلا أن التاريخ نفسه يكذب هذه الفكرة؛ فدعوات الرسل كانت خروجا على الواقع وتصادما معه، والفلاسفة والمفكرون في عصور التاريخ البشري كانوا خارجين عن أفكار واقعهم وزمانهم.

وكان الأجدر بالفكر الحداثي العربي أن ينظر إلى مفهوم التاريخية على أنه حالة استثنائية بسبب الأزمات الاجتماعية والظروف التاريخية التي عاشها الفكر الغربي، لا أن يعتبر الإسلام كبقية الأديان في الخضوع للتاريخية، ويتعامل مع النص القرآني بذات المنهج الذي تعامل به الغرب مع كتابهم المقدس.

وإذا كانت الأفكار من صنع التاريخ وكانت العلوم نسبية لا يمكن ثباتها، فلماذا يظل مفهوم التاريخية ثابتا بينما تلغى الحقائق بدعوى تاريخيتها؟

الوجه الخامس: إبطال احتجاج الحداثيين بالآيات السببية (التي لها سبب نزول معين).

لا ننكر أن بعض الآيات لها علاقة بالواقع الذي نزلت فيه، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والحادثة المعينة مناسبة للوصول إلى حكم تشريعي يعم كل الأمة. ولذلك فإن العلماء يستنبطون منها الأحكام ويقيسونها بغيرها، وهذا من أوجه إعجاز القرآن الكريم.

---

[34] ـ قضايا في نقد العقل الديني ـ محمد أركون ـ ص 282

[35] ـ موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام ـ محمد حجر القرني ـ ص 282

قال ابن تيمية رحمه الله:" والآية التي له سبب معين إن كانت أمرا ونهيا فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمنزلته، وإن كانت خبراً بمدح أو ذم فهي متناولة لذلك الشخص ولمن كان بمنزلته، ومعرفة سبب النزول تعين على فهم الآية"[36].

هب أن الآيات السببية تشكلت بسبب الواقع، فماذا عن الآيات التي تخبر بالأمور المستقبلية؟ هل كان الآيات التي تخبر مثلا بانتصار الروم على الفرس من صنع الواقع؟ وهل تعد الآيات التي نصت على حقائق علمية قبل مئات القرون نصوصا مستمدة من الثقافة القرشية؟

الوجه السادس: إبطال الاحتجاج بغموض اللغة وارتباط كل منتج ثقافي بلغة عصره: (كاستعمال لفظ الإبل والعبيد..)

الأصل في ألفاظ اللغة الثبات، وحفظ الله تعالى لكتابه يشمل حفظ مبانيه ومعانيه. وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، كما قال تعالى {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} سورة النحل (44)، واقتفى الصحابة وعلماء السلف أثر نبيهم فألفوا كتب الغرائب والشروح وخدموا النص القرآني والسنة النبوية، تحقيقا لقول الله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} سورة الحجر 9.

لكن الفكر الحداثي يأبى إلا القطيعة المعرفية مع تراثنا الإسلامي وتجاوز النص القرآني بدعوى أنه قد انتهى تاريخه، لكنهم تركوا كلام الله ورسوله واتجهوا إلى حثالات أفكار هيكل وماركس ونيتشه...

3. التأويل وجدلية الدلالة عند الحداثيين.

لم يقتصر الاتجاه الحداثي على ادعاء تاريخية النص القرآني، فادعى الحداثيون تاريخية **العلوم المعيارية** المتعلقة بفهم النص مثل **علوم القرآن وأصول الفقه**، وأكدوا على تاريخيتها وتاريخية ما أنتجت من مواقف وتفسيرات. وزعموا أن مصطلح "التأويل" هو المصطلح الذي كان سائدا ومستخدما عند المسلمين دون حساسية من دلالته، وأنه تراجع تدريجيا وتحول إلى مصطلح مكروه لصالح مصطلح "التفسير"، وفقَد بذلك دلالته المحايدة ليتم إبعاده عن عمليات التطور الاجتماعي زمن الصراعات الفكرية بين الفرق السياسية الدينية.

إن اختلاق الحداثيين للتشاجر بين المصطلحين بهذه الصبغة الكيدية التي لا تلتزم بأدنى مستويات التعظيم للنصوص، قد أوقعهم في أزمة معرفية وهي "جدلية التأويل والدلالة"، مما جعل الحاجة ماسة لمعرفة مفهوم التأويل عندهم، وكيف تشكل في منظورهم معنى النص؟

التأويل عند الحداثيين:

لم تقدم المدرسة الحداثية تعريفا جامعا مانعا للتأويل، وإنما انطلقت من وجود حاجة ماسة لتأويل النصوص الدينية والتراث الإسلامي خاصة، معتمدين مجموعة من التقنيات المستوردة لممارسة عملية التأويل، **قصد تحرير النص مما يرونه توظيفا إيديولوجيا**، كما سعوا إلى التفريق بين النص وفهمه، وبين اللغة وقراءتها.

وجعلوا إعجاز القرآن في **تعدد معانيه واحتماله** بحيث يسع لأكثر من تفسير، وينفتح على كل معنى، وتقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع. فلا مجال لأحد أن يدعي أنه يقبض على حقيقة المعنى أو يحصر النص على دلالة يفرضها على المتلقي أو يوجهه إليها.

---

[36] - مجموع الفتاوى (339/13)

وبما أن الآليات الشرعية المتواضع عليها عند علماء المسلمين وأهل الاختصاص لم تُسعف الحداثيين، فقد لجأوا إلى استعارة الأدوات الأجنبية وإلى تطبيق النظريات الغربية، مدعين أن المنهج الواحد يضيق أفق النظر ويؤدي إلى الجمود، فطبقوا على النص البنيوية والتفكيكية من أجل مساءلة ممكنات النص الدلالية.

وقد نهجوا أسلوب "دمج الوعي في تفسير النص الديني"، ويقصدون به تجريبية القراءة وتقديم الوجود على الماهية، وضرورة تجاوب النص مع تطلعات الإنسان، مما يجعل **القراءة ظاهرة اجتماعية وإيديولوجية** تزحزح جمود الواقع والعقل الإسلاميين.

ولدمج الوعي بمجرى النص طريقان:

ـ القراءة الأفقية: وتُعنى بالدلالة والتأويل في بنية النص الديني: الكتاب والسنة.

ـ القراءة العمودية: والتي تتبع السند والتراكمات التاريخية والعلاقات العامة السابقة على النص، والتي أسهمت في وجود النص.

كما أقاموا **نظرية البحث الدلالي** القائمة على التعلية من شأن الفهم على حساب المعنى، إذ لا وجود لأي معنى أصلي لأي كلمة تنتج عنه المعاني اللاحقة لها؛ والمعاني إنما تنتج عبر الأنظمة الفكرية والسياسية والاجتماعية، وليست منبثقة عن النص نفسه ولو كان مقدسا.

فالتأويل إذن؛ هو أن يقوم القارئِ والمتلقي بتَحيين المعنى حسب ذهنيته ليفهمه وفق معاييره الخاصة، وتحويل المعنى المعطى من الله إلى المعنى المنبثق من الذات.

وبهذا التصور عن الوحي يصبح النص معرضا ـ حسب أركون ـ لنظرية **الحفر الأركيولوجي** لمعرفة حجم المسافة بينه وبين التفسير، وتصبح جميع المسلمات المعرفية العميقة التي يتحصن بها العقل الإسلامي عُرضة للتفكيك وإعادة النقد.

لقد أدت هذه الأفكار حول النص إلى **تعويم الدلالة وتعدد الدلالات القرآنية ولو تناقضت مدلولات النصوص**، ولذلك تجد الجابري يوظف عبارة **القرآن حمال أوجه**، ويدعي أن المعنى يُستقى من طبيعة التفكير لا من اللغة. وأن مسائل الخبرة والحياة وأنماط الكلام لها دخل في إنشاء مدلول الكلام؛ وأن الدال منفصل عن المدلول، وأن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست علاقة ضرورية وإنما هي علاقة تحكمية.

كما قدم الجابري **المقاصد** كبديل تأويلي عن الألفاظ ليتحرر بها من سلطة النص المعتمدة على سلطة اللغة، ويعتبر اتباع قواعد التأويل المرعية للنص في إطار السياق والمعنى مجرد **عملية خنق للعقل وتحجيم لدوره**.

إن رواد المدرسة الحداثية في العالم العربي يخالفون الخصوصية العلمية والموضوعية لعملية التأويل في الإسلام، ويتحاشون الحديث عن الأهلية العلمية التي تخول القراءة التأويلية. وأَنَّى لهم ذلك وقد جعلوا النص الديني مفتوحا أمام كل قارئ يفهمه ويحدد معناه وفق ثقافته؟

لقد اعتمدوا على لغة درامية قلبوا فيها القواعد الإعرابية، وافترضوا أن النص الديني نص ميت ليس له أي معنى، وإنما يمثل قالبا يستخدم و**يوظف** لأي غرض. إنه توظيف تستحيل معه المعاني الشرعية التي عُلّق عليها الثواب والعقاب معانٍ عائمة قابلة لأكثر من قراءة؛ فما يعتبره النص كفرا قد يراه الشخص إسلاما ويستدل عليه بنفس النص، وما أخبرت به النصوص عن القيامة والحساب وإرسال الرسل للحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.. كل ذلك وغيره ليس له معنى ولا يمكن تحديد المراد منه**!**

إن المشروع الحداثي التأويلي مشروع هزلي لا يعطي قيمة للحقيقة ولا للمعرفة، ولا يجعل من الدين إلا أداة طيعة في يد القارئ ليتمكن من المحافظة على مسلماته، ولتبرير وتوفير **الغطاء والسند** لما يصدر عنه.

4- المحكمات الشرعية وأزمة الحداثيين.

اشتغل الحداثيون العرب بالبحث عن كل جديد، وساد في أوساطهم اعتقاد التضاد بين النص والواقع، مع رفضٍ لثبات النموذج أو مثاليته. وقد ربطت الحداثة بين جمود العقل العربي على النص وبين التخلف الحضاري، وادعت أن التقدم الحضاري والتقني مرتبط بتجاوز عقبة التسليم للنصوص. فاختلقت صراعا مفتعلا بين الواقع والقيم وبين الثابت والمتحول. وذلك ما يفسر سعي المشروع الحداثي إلى استهداف النص الديني بالقراءة التأويلية، ونفي المحكمات الشرعية وقواعد التفسير والتشكيك فيها. وفيما يلي مناقشة لدعوى نفي المحكمات مع بيان الخلل المنهجي الذي بنيت عليه.

ـ نفي المحكمات عند الحداثيين ومبناه:

يرجع أصل الإشكال في أزمة الحداثيين مع النص والتعامل مع محكماته إلى اعتبارهم النص الديني صنعا بشريا تشكل مع الواقع في جميع مراحله، فهو نص لغوي مرتبط ثقافيا واجتماعيا ببيئته التي نشأ فيها، وليس لقضاياه أي قيمة قدسية أو علمية. ولذلك فإنهم تبنوا مناهج المستشرقين في قراءتهم للنص الديني، وأكدوا على أنها تتم عبر آليات "العقل التاريخي للإنسان" وليس طبقا لآليات العقل الغيبي الغارق في الخرافة والمنطق الأرسطي[37]. فكان إقبالهم على القرآن من موقع ترك علومه والأدوات التي تعد آلة معيارية لفهمه فهما صحيحا، وخرجوا عن القواعد التفسيرية التي وضعها علماء المسلمين الذين قاسوهم بعلماء الكنيسة.

يقول محمد أركون:" لا توجد أصول دائمة وأبدية وإنما هناك أصول متغيرة بتغير العصور، ومن ثم فتأسيس النهائي للحقيقة والعقل شيء مستحيل، لأن الحقيقة أصبحت نسبية، ولم تعد مطلقة وأبدية كم يتوهم الأصوليون من كل الأنواع والأجناس[38].

ويجدر التنبيه على أن الحداثيين يقدمون مشروعهم باسم الاجتهاد، ولكنه اجتهاد يمارس بالعقل بعيدا عن النقل، وباستخدام عدد من الالتواءات الفكرية والتعسفات المفضية إلى لَيِّ أعناق النصوص أو إلغائها ولو كانت من ثوابت الدين. فالتوابث وإن كانت تحافظ على استقرار المجتمع وتعصمه من الانزلاق، إلا أن عدم مناقشتها يجعلها تتجمد وتَتَوَثَّنُ، وتأخذ قداسة المعبود، ولذلك فلا مناص من تغييرها وعدم التسليم لها؛ وأول الثوابت التي تشكل أكبر عائق للعقل العربي أمام الإبدع هي "العقائد".

ـ الفحص المعرفي للرؤية الحداثية:

تتعامل الرؤية الحداثية مع ظاهرة الوحي كأنها ظاهرة مغمورة في التاريخ الإسلامي، وكأن المسلمين لم يهتموا بتفاصيلها وظروفها، وعلى اعتبار أن الأدوات المعرفية لفهم الوحي لم تكن محل تمحيص وتدقيق، بل بمجرد أن يتكلم بها المهتم بالعلوم القرآنية تصبح قاعدة مسَلّمة.

إنها رؤية هشة لا تتفق مع مدلولات النصوص الشرعية فضلا عن كونها معارضة للدلائل العقلية والشواهد التاريخية. فإن لفظ **المحكمات** مفهوم حاضر في أوائل السور ومنهج وُجد مع القرآن الكريم وليس من وضع العلماء، ويُقدَّم على أنه مرجع ومعيار في التفسير يُردُّ إليه المشكل ليتضح معناه، ويُعتبر تركُه واتباع المتشابه ضلالا ونقصا في العقل وسعيا في الفتنة. فالمحكمات هي الأساس الذي لا يلحقه تغيير ولا تبديل، وهي معظم القرآن وأغلبه. قال الله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ **مُّحْكَمَاتٌ** هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} سورة آل عمران7.

---

[37] ـ ينظر "نقد الخطاب الديني" ـ نصر أبو زيد ص 23 و136.

[38] ـ معارك من أجل الأنسنة ـ محمد أركون ص 37.

ثم إن القرآن الكريم يزيد على **الإحكام** وصفا آخر زائدا وهو "**التفصيل**"، ليؤكد على أنه لا بد من الرجوع إلى تفصيل القرآن للحلال والحرام وللوعد والوعيد وغير ذلك، فهو تفصيل من الحكيم الخبير لا من البشر. قال الله تعالى {الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1. كما نجد أوصافا أخرى تحدث عنها القرآن ومن أهمها "**البيان**" وهو إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهذا البيان هو المعول عليه عند العلماء في معرفة الحق. قال الله تعالى {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ } النور 34.

إلا أن الرؤية الحداثية بدعوتها إلى القراءة اللامتناهية للمعاني، تأبى أن تتسق مع **مقصد تبيين الحق وحسم الخلاف** الذي يهدف له القرآن، كما قال تعالى {وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} النحل 64.

فالقرآن حاكم ومهيمن ومبيّن للصواب من الخطأ، والشريعة موضوعة للإفهام، وهذا الإفهام يلزم منه أمور:

أولها: عربية القرآن: فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين وعلى معهود العرب في خطابهم وألفاظهم، فمعانيه وأساليبه على هذا الترتيب.

ثانيها: خصوصية اللغة العربية: ولذلك ينبغي أثناء الاستنباط والبحث في النصوص مراعاة هذه الخصوصية، كنوع الأسلوب من الإيضاح والإخفاء والإيجاز و الإطناب وغير ذلك[39].

ثالثها: القول بعدم ثبات معانيه وأحكامِه يُبطل حجيته: لأن القرآن رتب الثواب والعقاب على الأعمال والتصديق بالأخبار، فلا يمكن أن يكون التارك للعمل والمكذِّب للخبر معاقَبا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مُثابا على نقيض ذلك في هذا الزمن.

لقد جرى القرآن الكريم على أسلوب العرب في خطابهم، وقد يأتي بما يسميه العلماء "**النص**" وهو اللفظ الذي لا يحتمل سواه على مر العصور، مثل قوله تعالى {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} البقرة 163، ومثل ذلك الخبر فإنه لا يحتمل إلا الصدق أو الكذب، وأخبار القرآن يستحيل فيها الكذب، فلا يمكن أن نفسر قوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25، إلا بأن الرسل متواترون على معنى واحد وهو إفراد الله بالعبادة؛ وتفسيرها بغير ذلك ضلال وخروج عن أساليب العرب في الخطاب.

وعندما نقرر أن أزمة الحداثيين تكمن في قضية الاجتهاد خارج مقاصد النصوص وتعاملهم معها بآليات أجنبية عليها، فذلك لأنهم فاقدون للأهلية العلمية بجهلهم لأساليب اللغة العربية واعتمادهم آليات أجنبية تكشف النفسَ الاستلابي الذي حفَّزهم على تفسيراتهم المنحرفة ليتفقوا مع الرؤية الاستشراقية، ويطبقوا أدوات فكرية تنفي المطلق ليحل محله النسبي وتطعن في الإلهي ليحل محله الإنساني، وسط استهتار بالعقل وعبث بالحقائق المطلقة وإلغاء للشرع، بداية بالشك وينتهي بالشك وبالحيرة المنهجية والتضارب الفكري؛ فالشك هو الحقيقة الثابتة عند الاتجاه الحداثي، وهذا المآل يكفي العاقل ليدرك بطلان القول في نفسه، إذ الحكم الذي يتناقض في نفسه لا يكون حقا وصواب مطلقا.

[39] ـ الموافقات ـ الشاطبي ص (2/ 61- 62)

ـ الورقة الثالثة: بعض تقنيات الحداثيين في التلبيس والخداع

1. تقنية الغموض:

يبذل الحداثيون العرب محاولات متواصلة للولوج عبر الكتابات الفكرية بحمولة مصطلحية وعائلة مفاهيمية خاصة بكل واحد منهم، كما يعملون على ضخّ تلك المفاهيم في مصنفاتهم بشكل يخالف قواعد اللغة من باب الاستعراض وتحصيل التعظيم وجلب التفخيم والإبهار الهوليودي و"الإرهاب الفكري"، لبث روح الهزيمة الثقافية في ذهن المتلقي أمام تلك العبارات والمعاني الغامضة.

إن الغموض والترميز الذي يستخدمه الحداثيون في العلوم التي يراد بها بيان الحق، فإنه فضلا عن كونه منفِرا فهو خلاف مقصود الشارع الذي علَّم البيان ويسر للقرآن للذكر، ولم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم.

و لقد تنبه علماء الإسلام منذ وقت مبكر إلى الأساليب والتقنيات التي ينتحلها الحداثيون، فكشفوها وعرّوا عن أسباب لجوء هؤلاء إلى الغموض في طرحهم العقدي والفكري. فقد نُقل عن "سلف الحداثيين" بشر المريسي (ت 218) أنه قال لأتباعه:" إذا احتجوا عليكم بالقرآن فغالطوهم بالتأويل، وإذا احتجوا عليكم بالأحاديث فادفعوها بالتكذيب"[40].

قال ابن تيمية رحمه الله (ت 728):"لكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة، وصاروا يُدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركّبوها وألّفوها تأليفًا طويلًا بنوا بعضه على بعض، وعظّموا قولهم، وهوّلوا في نفوس من لم يفهمه ... فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم، قالوا له: أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك. فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تُسَلِّمَ تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل»[41].

فكم من شاب متطلع للظهور بمظهر المتحضِّر سقط في فخ السلطة الفكرية التي تُمارس على الشخصيات الضعيفة، فسايَرَ أوضاعا وردَّد أفكارا لا تمت للإسلام بصلة. ومنهم من ألحَدَ لأن العلم التجريبي لا يُقرُّ العقائد الغيبية والماورائيات.. بل ربما كان سبب استخدام هذه التقنية ما أسماه العلامة المعلمي اليماني (ت 1386) بـ"الاستسلام بنظام"، حيث يقول:" فإن أضر الناس على الإسلام والمسلمين هم المحامون الاستسلاميون، يطعن الأعداء في عقيدة من عقائد الإسلام أو حكم من أحكامه ونحو ذلك فلا يكون عند أولئك المحامين من الإيمان واليقين والعلم الراسخ بالدين والاستحقاق لعون الله وتأييده ما يثبتهم على الحق ويهديهم إلى دفع الشبهة، فيلجأون إلى الاستسلام بنظام".

ثم عدد ثلاث أنظمة تكشف حالة التطور والاستمرار التي تكتنف تلك التقنيات من عصر لآخر، فقال رحمه الله:" نظام المتقدمين "التحريف"، ونظام المتوسطين "زعمُ أن النصوص النقلية لا تفيد اليقين، والمطلوب في أصول الدين اليقين"؛ فعزلوا كتاب الله وسنة رسوله عن أصول الدين. ونظام بعض العصريين "التشذيب"[42].

---

[40] ـ درء تعارض العقل والنقل ـ ابن تيمية (218/5)

[41] ـ درء تعارض العقل والنقل 295/1.

[42] ـ الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة ـ ص23

ولا شك أن الحداثيين العرب قد ورثوا من فلاسفة الغرب وَهمَ العلاقة بين الغموض وادعاء العمق، واللغة المتعالية والنخبوية المعقدة. فكثير من أعمال الفلاسفة القدماء يغلب عليها الغموض لإيهام العمق، كما يقول برتراند راسل:" فكم من الكتابات الفلسفية ثقيلة جافة جوفاء؛ بل إننا نجد في حالات معينة ما يشبه التقليد الراسخ الذي يقضي بأن تكون الكتابات الفلسفية غامضة معقدة في أسلوبها حتى تكون عميقة"[43].

2ـ تقنية الثوب الرقيق:

تتعدد أسماء الأفعال الخادشة للعلم والصدق، وصور التحريف والتكذيب التي يستخدمها الحداثيون في التعامل مع النصوص. فبالإضافة إلى "تقنية الغموض"فإنهم يعتمدون "تقنية الثوب الرقيق"، القائمة على انتحال أفكار المستشرقين وتصديرها عبر مستورِد محلي. ومن أمثلة ذلك ما قاله أحمد أمين (ت1954):" إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ما تراه مناسبا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولك ادفعها إلى الأزهريين على أنها بحث منك، وألبسها **ثوبا رقيقا** لا يزعجهم مسّها، كما فعلت أنا في فجر الإسلام وضُحاه"[44].

إن كثيرا من الأفكار التي أحدثت منعطفات فكرية وجلبة اجتماعية في العصر الحديث كان أساسها منحولا من أفكار غربية وافدة، ومن ذلك كتاب "الإسلام وأصول الحكم" الذي قيل أن الشيخ علي عبد الرزاق قد أخذ فكرته من كتاب لِتوماس أرنولد عن الخلافة، إضافة إلى ما كتبه طه حسين في "الأدب الجاهلي" وما ثار حوله من قضية انتحال أفكاره من المستشرق مرجليوث، وكذلك كتاب "أضواء على السنة النبوية" لمحمود أبو رية والذي استقاه من كتب المستشرقين مثل: (تاريخ الشعوب الإسلامية) لبروكلمان، و(العقيدة والشريعة في الإسلام) لجولدتسيهر وغيرهم.

وقد شهد نصر أبو زيد على " **الاستخدام النفعي الذرائعي للتراث**" عند العلمانيين كغطاء وسِتار لتمرير مشاريعهم، حيث قال:" اتجهت التيارات العلمانية إلى مواجهة الحاضر ومحاولة حل إشكالياته بآليات ذات طابع عصري في أغلب الأحيان، لكنها أحست بضرورة طرح الآليات طرحا يسوّغ قبولها من الجماهير". ويشير إلى أن كلا من العلمانيين والسلفيين يستعملون التراث، وأنه تحول عند السلفيين إلى إطار مرجعي، بينما تحول عند العلمانيين إلى غطاء وسند، وكلاهما فشل في تأسيس معرفة علمية بالواقع أو بالتراث ".[45]

وفي المقابل فإن سلفنا الصالح ذوي العلم الواسع والثراء المعرفي، أمكنهم كشف هذا التلاعب منذ وقت مبكر عن طريق تقنية "**الاعتبار**"، وذلك بتتبع الآراء وسبرها مهما تشعبت طرقها وكثر القائلون بها. وذلك بـ "التفتيش" و"تطلب المتابعة" بحيث ينظر العالم في القول وفيمن قاله، وفي مخرجه وهل هناك متابع لذلك القول أم لا، وهل يجري على الأصول المحفوظة أو يخالفها؟

لقد اعتاد الحداثيون العرب انتحال كلام المخالفين والمستشرقين وإعادة تدويره وإخراجه في ثوب رقيق كمنتج فكري محلي، ولهذه التقنية عدة تجليات منها ما نجده عند حسن حنفي من الازدواجية، أو ما حكاه هو عن تسميته بـ"المفكر الزئبقي" الذي لا يعلم له اتجاه، فالإسلاميون يرونه ماركسيا، والشيوعيون يرونه أصوليا، والحكومة تتعامل معه على أنه شيوعي إخواني.

---

[43] ـ وصف برتراند راسل كتابات هيجل بأنها من أصعب المؤلفات في النتاج الفلسفي، وأن أسلوبه ثقيل ورديء بسبب الغموض الذي يغلب عليها. ينظر: "حكمة الغرب" ـ ترجمة فؤاد زكريا ـ (130/2) و(89/1). وينظر "مآلات الخطاب المدني" ـ إبراهيم السكران ـ ص 240 وما بعدها.

[44] ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ـ مصطفى السباعي ص 238

[45] ـ نقد الخطاب الديني ص 154

ومن نماذج ذلك أيضا، ما قام به الدكتور يوسف زيدان في هجومه على شخصية صلاح الدين الأيوبي ووصفه بأقذع الألفاظ، وجمع عدد من الأغاليط التاريخية وعرضها في برنامج تلفزيوني كحقائق تاريخية يكشفها المحقق الجريء. مع أن المنتِج الرئيسي لهذه التوليفة المكتظة بالكذب وتلفيق الأحداث على هذا الرمز السني هو المؤرخ الشيعي اللبناني المعاصر"حسن الأمين" (ت 2002)، ابن المرجع الشهير "محسن الأمين العاملي" (ت 1952) والذي أكثر من الكتابة حول صلاح الدين رحمه الله في الجرائد ثم جمع ذلك في كتاب غير محرر بعنوان:"صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين".

إن هذه الأمثلة تدل على استمرار الحداثيين في ممارسة تقنيات التخييل التي لا تخرج عن الأصل المريسي: (المغالطة بالتأويل، والمدافعة بالتكذيب). وإذا كان قد خُيل لموسى عليه السلام من السحر أن الثعابين تسعى، وإذا كان "من البيان لسحرا"، فلا شك أن {الله سيبطله إن الله لا يُصلح عمل المفسدين} يونس 81.

ـ الورقة الرابعة:

مقاصد الشريعة: ورقة نقدية للأغلاط المعرفية عند التيار الحداثي.

يبذل المشتغلون بالعلوم الإنسانية كثيرا من الجهد الفكري من أجل فهم النص وإفهامه وقراءته قراءة جدية تتفادى أي تأويل عبثي. ويُعدّ علم أصول الفقه الأداة المعيارية الأقوى لحماية النصوص من التلاعب بدلالتها، والتي تضبط علاقة اللفظ بالمعنى؛ وهذا ما يُفسر سعي المتطفلين فكريا على العلوم الإسلامية إلى تجاوز هذا العلم ليتمكنوا من ممارسة هوايتهم المفضلة، وهي اللعب بالدلالات والحقائق الشرعية، واستبداله بنظريات التأويل الحديث واعتبار النصوص الشرعية نصوصا لغوية يُتكفي في تفسيرها واستخلاص معانيها بالمداخل اللغوية.

وبما أنه يصعب على الحداثيين هدم البناء المعرفي الديني من الخارج، ويعسُر تجاوز آلياته أثناء محاولة هدمه من الداخل؛ فقد عمدوا إلى ضرب المعارف الإسلامية بعضها ببعض، والتعلية من شأن بعضها لإسقاط البعض الآخر. فرفعوا راية المقاصد في مقابل أصول الفقه، واستخدموها بعيدا عن الضوابط الشرعية واتخذوها ذريعة لتبديل الشرع. فكان من الضروري بيان مدلول المقاصد وكشف التمويه الثقافي الذي يمارسه الحداثيون.

ـ المقاصد في الفكر الحداثي:

اهتم الحداثيون بشأن المقاصد وتوالت كلماتهم في تمجيدها ورفعها في وجه أصول الفقه كأداة للاستنباط، فقامت **نظرية المقاصد** عندهم على إلغاء تفعيل النصوص لصالح المقاصد التي تراعي المصلحة، وذلك لاعتقادهم وجود تضارب بين النصوص الثابتة والمصالح المتغيرة. يقول فهمي هويدي: "إذا حدث التعارض بين النصوص وبين أيٍّ من مصالح الناس المعتبرة فلا مجال لتطبيق الأولى، وتُغَلَّبُ المصلحة على النص في الثانية"[46]. وبنوا على هذا تخطئة الفقهاء الذين يربطون تطبيق الشريعة بتطبيق أحكامها، فتطبيق الشريعة عند الحداثيين يكون بتطبيق روحها[47].

وذهب الجابري إلى أن العلة ليست موجبة للحكم، وانتقد القاعدة المعروفة: "الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا"، واعتبر أن المصلحة هي الحاكمة على النص[48]، فلا يتقيد بالعلة التي هي مناط الحكم وإنما بمفهوم عائم هو المصلحة.

وادعى بعضهم أن النسخ ليس خاصا بالنص الشرعي بل هو موكول إلى الأمة؛ لأن الأحكام نسبية ليست خاضعة للظروف الزمانية والمكانية، ولهذا فقد نسخ عمر بن الخطاب حكم المؤلفة قلوبهم، وأوقف توزيع الأرض المفتوحة على الغانمين[49]. واعتبروا المقاصد هي الملاذ الوحيد الذي يُمَكِّنُ المجتهد الحداثي من نسخ ما فُقِدَتْ مصلحته والتحرر من سلطة النص.

ـ المقاصد في الشريعة:

إن بناء تصور معرفي سليم حول المقاصد يستدعي شيئا من التفصيل في شأنها، نستهله بتعريف موجز للمقاصد.

المقاصد: جمع مقصَد، والقصد لغة الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على الاعتدال أو الجور[50]. ولفهم مقاصد الشريعة من منظور شرعي ينبغي دراستها من عدة جوانب:

---

[46] ـ التدين المنقوص ـ هويدي ـ ص 176
[47] ـ جوهر الإسلام ـ محمد عشماوي ـ ص 37
[48] ـ وجهة نظر ـ الجابري ص 63
[49] ـ التجديد في الفكر الإسلامي ـ عدنان أمامة ـ ص 463
[50] ـ لسان العرب (140/4)

أولها: قصد الشارع من وضع الشريعة: فتكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون **ضرورية**، والثاني أن تكون **حاجية**، والثالث أن تكون **تحسينية**.
فأما الضرورية، فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[51].

والحفظ لها يكون من جانب الوجود ومن جانب العدم؛ فأما من جانب الوجود فيكون بفعل ما به قيامها وثباتها، وأما من جانب العدم فيحصل بترك ما به تنعدم؛ كالجنايات، فلا يقال: إن مراعاتها من جانب الوجود بمثل الصلاة وتناول المأكولات مثلًا هو مراعاة لها من جانب العدم، إذ بفعل هذه الأشياء التي بها الوجود والاستقرار لا تنعدم مبدئيًا أو لا يطرأ عليها العدم[52].

وإذا كانت الشريعة قد جاءت لحفظ الكليات الخمس؛ فإن أعظمها وأساسها هو الدين وبه تُحفَظ، فلا يصح من المكلف تجاوزه بل يلزمه أن يُرْجِعَ مفهوم المصلحة إليه. إضافة إلى أن معرفة المكلف ما هو نافع له أو ضارّ وما يصلحه أو يفسده، قد يعرفه بعضه الناس بفطرتهم، وبعضهم لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم وهدايتهم. فلا يسعهم الاستغناء عما أخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الآخر، ولا يمكنهم تحديد مصالحهم بعيدا عما أمرت به من تفاصيل الشرائع مما لا يعلمه الناس بعقولهم.

ذلك أن الشارع قد قصد بالتشريع إقامة المصالح الأخروية والدنيوية، وهذه المصالح والمفاسد المعتبرة شرعًا إنما هي معتبرة من حيث تقوم بها حياة الناس دنيا وأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب المصالح أو درء المفاسد. فلا عبرة بهوى المكلف، بل الشريعة قاصدة لإخراج المكلف عن داعية هواه ليكون تبعًا للشرع فيما يدع ويذر، وقد جعلت اتباع الهوى في تحديد الحق مفسدة خالصة، قال تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُون} [سورة المؤمنون:71]. وقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُون} [سورة الجاثية:18].

وعليه فإن المصالح تراعى شرعًا ما دامت مصالح، فإذا تعارضت فإنه يقدم بعضها على بعض؛ فالمصالح الأخروية مقدمة على المصالح الدنيوية، لأن المصالح الدنيوية عاجلة وفانية، والمصالح الأخروية باقية وأبدية، ولأن المصالح الدنيوية خادمة للمصالح الأخروية[53].

ومما يبين الخلل المنهجي في النظرة المقاصدية الحداثية وما تعانيه من غموض وارتباك في جانب التأصيل، عدم إدراك أن المقاصد شيء أعم من المصالح، وكذا جاوزها مقصد حفظ الدين الذي يعدُّ المقصد الأول، وبقية الكليات بالنسبة له هي بمثابة الحاجيات، فهي خادمة له وتابعة ولا تُراعى إلا من جهة موافقتها له، وإلا كانت أهواءً غير معتبرة شرعًا.

ومن أهم قواعد المقاصد الشرعية: أنْ لا يُردَّ بها أي حكم جزئي، فإذا ثبت نصٌّ شرعي أو حكم فقهي؛ فلا يجوز أن يُنقَض ويُتجاوَز بدعوَى أنه مخالف لقاعدة مقاصدية؛ فهذا باطلٌ لا علاقة له بعلم المقاصد؛ "فإنَّ ما يخرم قاعدة شرعية أو حكمًا شرعيًّا ليس بحق في نفسه"[54].

---

[51] ـ الموافقات ـ الشاطبي (9/2)
[52] ـ ينظر: المستصفى للغزالي (251 /1)
[53] ـ ينظر: القواعد الكبرى ـ العز بن عبد السلام (12/1).
[54] ـ الموافقات (556/2).

الحداثيون والأغلاط المعرفية في الاستدلال بالمقاصد :

لقد ظهر غلط الحداثيين في الاستدلال بالمقاصد وفي التعامل مع النصوص من جهتين:

الجهة الأولى: اعتقاد التعارض بين الكلي والجزئي: والحقيقة أنه لا يوجد تعارض بين كلي وجزئي؛ فالقضايا الكلية بُنِيت على استقراء للجزئيات،" فالكُلّيّ من حيث هو كلي غير معلوم لنا قبل العلم بالجزئيات، ولأنه ليس بموجود في الخارج، وإنما هو مضمَّن في الجزئيات حسبما تقرر في المعقولات؛ فإذا الوقوف مع الكلي مع الإعراض عن الجزئي وقوف مع شيء لم يتقرر العلم به بعد دون العلم بالجزئي، والجزئي هو مظهر العلم به. وأيضًا فإن الجزئي لم يوضع جزئيًا، إلا لكون الكلي فيه على التمام وبه قوامه؛ فالإعراض عن الجزئي من حيث هو جزئي إعراض عن الكلي نفسه في الحقيقة، وذلك تناقض"[55].

وبتتبع تفاصيل الشريعة الإسلامية نجد أنها فَصَّلَتْ الكيفيات التي يحصل بها التعبد لله عز وجل؛ وحضت على الالتزام بها ووصفتها بأنها حدود الله ومحارمه، ووجَّهت اللَّوْمَ الشديد وتوعدت بالعقاب الأليم من تعدَّاها أو تجاوزها. والشريعة مع كل ذلك أَكَّدَتْ في نصوص كثيرة على أن تشريعاتها ملزمة إلى يوم القيامة. وكل هذه التشريعات التفصيلية هي بمجموعها منتظمة تحت قواعد كلية يتحصل منها مقصد الشارع، فهو يتحصل بمجموعها لا ببعضها، ولا يمكن أبدًا أن يُحَصِّلَ الإنسان مقصد الشارع دون أن يأتي بهذه الجزئيات وفق النسق الشرعي.

فقول الحداثيين بخصوصيتها بالزمان والمكان يؤدي حتمًا إلى إبطال الشريعة جملة وتفصيلًا؛ لأنه ليس فيها ثابت، وما ذكر من الأحكام في القرآن هو مجرد أمثلة يمكن تغييرها لصالح الواقع والمصلحة المتوهمَين. وهذا الاستنتاج الحداثي ينفي عن الشريعة صفة الإصلاح، لأنها لا تغير الواقع السيء، وإنما تتكيف معه وتصوغ أحكامها وفقًا له، وهذا قول يعرف بطلانه بمبادئ العقل والفطرة.

الجهة الثانية: السطحية في التعامل مع المقاصد: وقد انعكس ذلك على القراءة الحداثية حتى في طورها المقاصدي، فاتسمت بالغموض وضعف الإنتاج وصعوبة الاستنباط؛ وكثير من الأبواب ليس لهم فيها رأي. بينما تجد للفقهاء المنضبطين بالآليات الشرعية في التعامل مع النصوص إنجازات معرفية هائلة في العبادات والمعاملات والأنكحة وغيرها، واجتهادات في أغلب النوازل المستجدة.

وكمثال على ذلك، ما يلاحظ من ارتباك الحداثيين في التعامل مع النصوص الشرعية الضابطة للحرية عندما تُنتهك حرمة الدين؛ فبدل أن يتم من خلال النظر المقاصدي الصحيح تفعيل كل الأحكام التي يُحفظ بها الدين كحد الردة والتعزير وغيرها، فإن أنصار المقاصدية الحداثية ينبرون للدفاع عن "مقصد الحرية" ويرفعونه في وجه تلك التكاليف الشرعية؛ وما رفعوا لواء المقاصد إلا ليحققوا مآربهم الخاصة ومشاريعهم الهدمية.

الاستدلال بالمقاصد عند الحداثيين والفجوات المعرفية:

لا يرفع الحداثيون رأسا بنصوص السنة ولو كانت صحيحة، لكنك تعجب من استدلالهم بالسنة غير المتواترة بعيدا عن أي ميزان علمي معتبر، وتوظيفهم بعض الأحداث للاستدلال بها على أن المصلحة مقدمة على النص.

ومن ذلك ما ادعاه بعضهم من تغير العقائد الدينية بتغير الواقع، معتمدين على بعض الاجتهادات العُمَرِية مثل موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نص المؤلفة قلوبهم، فاعتبروا ذلك إلغاء للنص وتقديما للمصلحة عليه. إضافة لاستدلالهم بتعطيله لحد السرقة عام الرمادة باعتباره دليلا على أن الحكم القطعي والدليل القطعي يمكن تحيينها وتعطيلها لصالح الواقع والمصلحة.

---

[55] - الموافقات (7/3).

وإبطال هذه الشبهات من أوجه، منها:

1ـ تقرير دوران الحكم مع علته:

عند قراءة **قصة المؤلفة قلوبهم** واستحضار سياقها ينكشف حجم الكوارث المعرفية التي أصيب بها المشروع الحداثي أثناء محاولة الاستنجاد بالمقاصد، فأوصاف الأصناف المعتبرة في الزكاة المذكورة في الآية {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سورة التوبة:60]، هي أوصاف عرَضِية ليست لازمة للشخص؛ فالشخص قد يُعْطَى اليوم من الزكاة لأنه فقير أو مدين، ويمنع غدًا لأنه صار غنيا.

وعمر رضي الله عنه رأى انتفاء الصفة في حق بعض أصناف الزكاة ولم يُلغها، فعلَّق الحكمَ بعلّته وجودًا وعدمًا في هذه الحادثة، ولم يلغه ولم يَدَّعِ ذلك؛ ولذلك لم يعتبر أحدٌ من السلف ما فعله عمر إلغاء للحكم وإبطالًا له، فهذا حفيده عمر بن العزيز عمل بحكم المؤلفة قلوبهم لأنه رأى علّته قائمة[56].

2ـ كشف النظرة الانتقائية للنصوص عند الحداثيين:

يغفل الحداثيون الاستدلال بتصرفات أخرى صدرت من عمر رضي الله عنه تؤكد أنه كان يعمل بالنص ويُعلى من شأنه حتى في مقابل المصلحة، كالتزامه تقبيل الحجر الأسود لا لمقصد رعاه بل لمجرد التأسي. كما يغمضون أعينهم عن وقائع التشديد في الحكم للمصلحة؛ ومن ذلك تشديد عمر رضي الله عنه في الطلاق، فإنه لما تتابع الناس على عهده في طلاق الثلاث أجازه عليهم.

3ـ العبث الاستدلالي بالنصوص واقتطاعها من سياقها:

مما يستدل به الحداثيون أيضا على تغليب المصلحة على النص؛ **تعطيل عمر رضي الله عنه حد السرقة عام الرمادة**، وبغض النظر عن ضعف الحديث وعن تخلف اشتراطهم للتواتر والْقَطْعِيَّةُ في المعنى لقبول الحديث، سنُخَفِّضُ المعايير العلمية ونتعامل مع النص على أنه ثابت، ونناقش مضمونه لنبين هل يصلح دليلا في قولهم برد النصوص إعمالا للمصالح؟

لقد عمل عمر رضي الله عنه بما هو مقرر لدى المسلمين من أن الحدود لا تقام بمجرد الوقوع فيما يوجبها؛ إذ لا بد من توفر شروطها وانتفاء موانعها. فتَحقُّقُ الشبهة يدرأ الحدَّ بإجماع العلماء كما ورد في الحديث: {**ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم لمسلم مخرجًا فخلوا سبيله**}[57]، ومن تلك الشُّبَه المجاعة الشديدة؛ وكل ما فعل عمر أنه عمل بمقيِّدات أُخَرَ للنص ولم يبطله لأجل المصلحة كما يتوهم الحداثيون.

وهكذا يتم **اقتطاع النصوص من سياقها** دون تمريرها على أي أداة فحص علمية حديثية كانت أو أصولية أو فقهية؛ وقد كان الأولى أن تُجمَعَ الوقائع وتدرس من ناحية الثبوت والضعف، ثم ينظر في مستندها ومدى انسجامها مع المعنى الكلي للشريعة في كل باب. أَمَّا أن يُنتقى منها وتُجعل الحوادث العينية ناقضة للأصول؛ فإن هذا لا يمكن تصنيفه علميًّا إلا في إطار العبث الاستدلالي بالنصوص.

4ـ الوقوع في التناقض:

يقرّر الخطاب الحداثي أصولاً تتنافى مع القول بأن للشريعة مقاصد؛ فتكرار فكرة النص المفتوح الذي يحتمل معانٍ عدة ينقُض أصلهم ذاك. أضف إلى ذلك أنهم لم يحددوا هذه المقاصد بل تشبثوا بمعنىً عائم وهلامي وهو المصلحة. ثم عند أول اختبار علمي يظهر تلاعبهم.

---

[56] ـ ينظر: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد (558/5).

[57] ـ رواه الحاكم في المستدرك (8163) وصححه.

فالشريعة شرعت حد الردة لحفظ الدين، والقتل لحفظ النفس، والقطع من أجل حفظ المال، فالذي يجري على المقاصد هو أن تُفَعَّلَ هذه الحدود عند فُشُوِّ أي ظاهرة من هذه الظواهر، لكن الفكر المقاصدي الحداثي يقول: لا بل تُقدَّم المصلحة ويُعطَّل الحد.

ومن جهة أخرى حين نعتبر النصوص كلها ظنية ونُعمل المصالح القطعية؛ أليس من حق سائل أن يسأل: أين الدليل الذي دل على اعتبار المصالح؟ فإن كان نصًّا فهذا لا يعدو كون المصالح ظنية؛ لأن ما ثبت بالظني لا يمكن أن يكون قطعيًّا مطلقًا!! وإن كان غير النصوص لزمهم تعيينه، وذلك ما لم يفعلوا.

ومن الأمور التي تبعث على اتهام الفكر الحداثي بعدم الجدية العلمية أنه حين جعل من المقاصد صنمًا لم يستطع إقامة دليل علمي على اعتبار المقاصد من منظوره؛ لأنه كيف يمكن أن تكون المقاصد بهذه الدرجة ثم لا يوجد ما يشهد لها من النصوص إلا هذه الأدلة التي استشهد بها الحداثيون، وهي أدلة لا تصمد، فلا هي بالمسلمة ثبوتًا ولا بالمقبولة معنى.

ولو قمنا بمقارنة بين جهود الفقهاء والأصوليين وبين جهود المشروع الحداثي في بيان مقاصد الشريعة؛ فإنا نجد أن الفقهاء استطاعوا من خلال الجمع بين مقاصد الشريعة ونصوصها أن يحققوا إنجازات هائلة ويُفَعِّلُوا الفقه في حياة الناس، بينما كان المشروع الحداثي يخسر كل يوم علميًّا جزءًا كبيرًا من رصيده، وتظهر هذه الخسارة عند محاولة الاجتهاد أو الاستنباط.

إن المشروع الحداثي يموت عند العناوين ويُدفن عند المضامين، فلن ترى له أي قيمة عند ممارسة العملية الاجتهادية، ولن تجد له أي استنباط ينافس عند طرق الأبواب الشرعية من عبادات وقضاء ومعاملات، بل يكتفي بإسقاط أكبر كَمٍّ من النصوص والأحكام.

لقد كان الفقهاء والأصوليون مدركين لخطر العملية الاجتهادية ذات البعد المقاصدي من غير المؤهلين، فانصبت تحذيراتهم على أهمية التفريق بين مقاصد الشريعة وأهواء الناس، ونبهوا على أن المقاصد ليست وسيلة لرمي النصوص وعدم اعتبارها، لذا يقول الشاطبي: "فإن ما يخرم قاعدةً شرعيةً أو حكمًا شرعيًّا ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لا خاص، كما تقدم في المسألة قبل هذا، وأصله لا ينخرم، ولا ينكسر له اطراد، ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلف، وإذا كان كذلك، فكل ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضادًّا لما تمهد في الشريعة، فهو فاسد باطل"[58].

وبطبيعة الحال فإن عمليات التأويل التي قام بها الخطاب الحداثي بما تضمنته من استحضار واستبعاد موجه للنصوص فإن طبيعة الوحي قد تَأَبَّتْ على ذلك، وبقي الوحي ظاهرًا لا يمكن إخفاؤه. فمع كل النصوص التي اقتطعوها بقيت النصوص ذاتها تنقُض النتائج النهائية للخطاب، وأصبحت صورة الخطاب المقاصدي صورة تلفيقية تعاني من الهشاشة العلمية نتيجة الانتقائية وعدم المنهجية، مع المسارعة في تعميم الأحكام قبل استقراء جزئياتها، فيجعلون من المثال قاعدة ومن النادر مقصدًا، ومن الشاذّ مطردًا، هذا بالإضافة إلى تغليب التَّفَسِ الاستهزائي والصراخ الإنشائي في الدعوة للاجتهاد والتجديد، والتصنيف السلبي لكل رأي أو معيار يقف سدًّا أمام المشروع الحداثي، الذي يعاني أوّل ما يعاني من إثبات الجدية والانضباط العلمي.

وصلى الله وسلم على نبيا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

---

58 - الموافقات (454/2)